

تحصينات وأستحكامات مدينة الديوانية خلال العهد العثماني / دراسة أثرية وتاريخية

د . رجوان فيصل الميالي

جامعة القادسية / كلية الآثار / قسم الآثار - (٢٠١٧)

University of Al-Qadisiyah

الملخص

للمدن مكانة مهمة في نشوء الحضارة الإنسانية وتعتبر مدينة الحسكة (الديوانية) واحدة من هذه المدن التي تبواأت مكانة بارزة من بين مدن الفرات الأوسط وحواضره ، وقد حاولنا قدر الامكان أن نضع تاريخ تأسيس لهذه المدينة إلا أن تاريخها غير مؤكدة وليس هناك من المصادر أو الوثائق ما يؤكد ذلك أذ سكتت أغلبها بهذا الشأن ، ولكننا أقربنا بشكل كبير من تاريخ تأسيسها من خلال البحث والتدقيق ، وهذا بدوره يقربنا من تاريخ بناء سور الذي تغطي تاريخ بنائه الكثير من الشوائب التاريخية وبقية الابنية التحصينية والاستحكامية في المدينة ومنها القشلات والسرائي والقلاع وغيرها .

وقد تبين من خلال البحث والتقصي بأن السور لا يوجد له ذكر في كتابات السواح والرحلة الذين زاروا المدينة ، أذ لا يوجد له تمثيل من جهة النهر وباعتبار النهر الطريق الرئيس الذي يأتي به السواح الى مدينة الديوانية ، وكذلك سلطنا الضوء على أولى محاولات الترميم والتجديد التي مرت عليه وقد توصلنا الى خلاصة بأن هذا السور لم تجر عليه زيادات بالمساحة من حيث الطول والعرض وإنما أجريت عليه فقط الترميمات والتجديفات في ارتفاعاته وسمكه وعدد الابراج التي كانت تقل في وقت ما وتزداد في وقت آخر .

وتوصل البحث ان مدينة الديوانية هي واحدة من المدن القلائل في العراق التي بنيت بها سور وفشلان وسرائي فضلا عن وجود ابنية ذات طابع عسكري منتشرة في أنحاء أخرى منها وهذا بدوره يكشف عن اهمية المدينة من الناحية الدفاعية والعسكرية ودورها الفاعل في استباب الامن سيما انه مطلب مهم جدا في ازدهار الحياة واستقرارها في اي بلدة .

المقدمة

تعد العمارة ركناً أساسياً من أركان الحضارة ووجهاً مشرقاً لها لأنها تكشف لنا عن مستوى التفكير الانساني والتطور الذي وصل اليه ، وعليه فقد لعبت العمارة الاسلامية دوراً كبيراً في تبيان روح الحضارة الاسلامية المجلدة على المبني في جميع المناطق التي استقرت فيها .

ومادامت العمارة العسكرية رافداً من رواد العمارة الاسلامية ، أذ ظهرت بطبع خاص ميزها عن غيرها من الحضارات الاخرى كما اختلفت من منطقة الى اخرى ومن فترة الى اخرى وكل هذا يرجع الى تأثيرات البيئة والمعتقدات السائدة ، فضلاً عن تطور وسائل الدفاع ، أذ نتج عنه فناً معمارياً متميزاً عرف معظمه بالتحصينات العسكرية او الاستحكامات العسكرية او العمارة الحربية .

ورغم الاختلاف في الاسم فإن المعنى واحد هو تلك التحصينات التي تقام لحماية المدن والثغور والطرق التجارية التي يتحمل أن يمر من خلالها العدو الى داخل المدينة أو البلدة وهي تشمل القلاع والحسون والاسوار والابراج والقشل والسرایا والمخافر وغيرها ، وما تحويه من العناصر العمارية لعملها مثل المزاغل والشرفات والسباقات والفتحات وغيرها .

أن البحث في مجال العمارة العسكرية يقدم أنموذجاً دالاً لمعاينة ورصد مختلف التطورات والتحولات في المجال العسكري ، ففي واقع الامر هو دراسة في مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهي تعكس بشكل من الاشكال مستوياتها وأهميتها ، فقد عبر الحكماء القدماء من العرب والجم عن هذا المعنى حيث قالوا " الملك بناء والجند أساس ، فإذا قوي الاساس دام البناء ، وإذا ضعف الاساس انهار البناء ، فلا سلطان الا بجند ، ولا جند الا بمال ، ولا مال الا بجباية ، ولا جباية إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل " كما عرفها ابن خلدون .

وعليه كانت تقاس حضارة المدن في الماضي بقدرتها على اتقان التحصينات المختلفة وتعد النظم العسكرية التي انتجتها الدولة العثمانية في العراق ذات صلة وطيدة في الفنون والعمارة ، لأن تطور هذه النظم والتقييات العسكرية له تأثيره على تطور فن عمارة الاسوار والتحصينات الاخرى وهذا ما وجدناه في عمارة وتحصينات مدينة الديوانية خلال مدة البحث المذكورة .

تحصينات وأستحکامات مدينة الديوانية خلال العهد العثماني / دراسة أثرية و تاريخية

نشأة المدينة

أن مدينة الديوانية^(١) الحالية تعد الوريثة الشرعية لمدينة الحسكة تلك الحاضرة التي ازدهرت في العصر العثماني وما قبله ، بعد ان هجرت مدينة الرماحية التي اندرست بحدود عام ١٧٠٠ م بسبب تغير مجرى نهر الرماحية احد فروع نهر الفرات وكانت الرماحية من أمميات المدن العراقية والتي مازالت آثارها ماثلة في منطقة تقع على بعد (٣٠) كم من جنوب غرب مدينة الديوانية^(٢) كما أن مدينة الحسكة من بين بلدان الفرات الاوسط التي تأسست بعد خراب الكوفة^(٣) وقد أهملتأغلب المصادر ذكرها عدا أن الفرات يمر من العرجة والسماءة ولملوم والحسكة... الخ^(٤) أن تاريخ بناء الحسكة حيث كانت موجودة قبل سنة ١٥٠٠ م^(٥) ويصفها مصدرأً آخر فيقول "الحسكة مدينة عاملة من اعمال بغداد"^(٦) فقد ورد ذكرها في مواضع متعددة ومنها "الحسكة مدينة مسورة وهي من احسن ضياع العراق وأنفع القرى على الاتفاق"^(٧) ومن اعلامها السيد ابراهيم بن الحسن بن علي خان الذي هاجر من الحجاز الى العراق الذي كان يلقب (بالحسكي) وقد جاء من بعده ولده السيد موسى بن ابراهيم .

الحسكي وبنى مدينة لملوم التاريخية في الفترة من ١٣٨٠ - ١٤٥٠ م^(٨)

وربما ان هذه الرواية تفيد بأن تأسيس مدينة الحسكة كان يسبق تأسيس مدينة لملوم التاريخية بما لا يقل عن (٥٠) سنة ويرجح ان يكون بناء الحسكة تم حوالي سنة ١٣٣٠ م .

وبهذا تكون مدينة الحسكة تأسست قبل الاحتلال العثماني ومما يؤيد ذلك "الحسكة كانت ناحية من نواحي سنجق مدينة الرماحية "^(٩) ومما يؤكّد ما ذهنا اليه "الحسكة بلدة لا يعلم تاريخ تكوينها

(١) تقع مدينة الديوانية في القسم الجنوبي من العراق ويحدها مدينة الحلة شمالاً ومدينـة الكوت والناصرية شرقاً وحدودـها الغربية والجنوبية اراضـي سهلـة ومنبسطـة . للمزيد من التفصـيل ينظر :- مطر ، سليم ، ثوبـني ، علي ، مردان ، نصرـت ، موسـوعـة المـدائـن العـراـقـية ، مرـكـز درـاسـات الـأـمـة الـعـراـقـية ، مـيزـوبـوتـامـيا ، بـغـادـ، ٢٠٠٥ ، صـ ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) مـجمـوعـة مـنـ المؤـلـفـين ، القـادـسـيـة بـيـنـ المـاضـيـ وـالـحـاضـرـ ١٩٨٦ ، مـطبـعة الـديـوانـيـ ، بـغـادـ، ١٩٨٦ ، صـ ٤١ .

(٣) السـاعـديـ ، حـمـودـ ، بـحـوثـ عـنـ العـراـقـ وـعـشـائـرـهـ ، مـطبـعة الـانـدـلسـ ، النـجـفـ ، ١٩٩٠ ، صـ ١٤٠ .

(٤) لـونـكـريـكـ ، هـيمـسـليـ ، أـرـبـعـةـ قـرـونـ مـنـ تـارـيخـ العـراـقـ الـحـدـيثـ ، تـرـجـمـةـ جـعـفـ الـخـيـاطـ ، مـكـتبـةـ الـيقـضـةـ الـعـربـيـةـ ، بـغـادـ، ١٩٨٥ ، صـ ١٤ .

(٥) المـيـالـيـ ، فـيـصـلـ غـازـيـ ، شـذـراتـ وـسوـانـحـ عـنـ السـيـاحـ الـذـيـنـ مـرـواـ بـسـنـجـقـ لـوـاءـ الرـماـحـيـةـ وـبـلـادـهـ الثـلـاثـ لـمـلـومـ الـحـسـكـةـ الـدـيـوانـيـةـ ، مـطبـعةـ المـارـدـ ، النـجـفـ ، ٢٠٠٨ ، جـ ١ ، صـ ٥٥ .

(٦) العـمـريـ ، يـاسـينـ ، غـايـةـ الـمـرـامـ فـيـ تـارـيخـ مـحـاسـنـ بـغـادـ دـارـ السـلـامـ ، مـطبـعةـ دـارـ الـبـصـريـ ، بـغـادـ - ١٩٦٠ ، صـ ٧ .

(٧) السـوـيـديـ ، عـبـدـ الرـحـمـنـ ، حـدـيـقـةـ الـزـوـرـاءـ فـيـ سـيـرـةـ الـوزـراءـ ، تـحـقـيقـ عـمـادـ عـبـدـ السـلـامـ ، مـطبـعةـ المـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـرـاقـيـ ، ٢٠٠٣ ، صـ ٩١ .

(٨) المـيـالـيـ ، فـيـصـلـ غـازـيـ ، القـولـ الـمـعـلـومـ فـيـ تـارـيخـ حـمـزةـ لـمـلـومـ بـحـثـ شـامـلـ وـمـعـمـقـ فـيـ تـارـيخـ مـدـنـةـ الـحـمـزةـ الـشـرـقـيـ ، مـخـطـوـطـ تـحـتـ الطـبـعـ ، وـرـقـةـ ٨٥ .

(٩) الـقـهـوـاتـيـ ، حـسـينـ مـحـمـدـ ، تـارـيخـ الـعـراـقـ بـيـنـ الـاحـتـلـالـيـنـ الـعـلـمـيـ الـأـوـلـ وـالـثـانـيـ ١٥٣٤ - ١٦٣٨ ، درـاسـةـ فـيـ أـحـوالـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـاـقـتصـادـيـةـ ، رسـالـةـ مـاجـسـتـيرـ ، جـامـعـةـ بـغـادـ ، ١٩٧٥ ، صـ ١٢٩ .

أول مرة حيث ذكرت المصادر أسمها منذ أوائل القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر الميلادي وقد أدرك ولاة بغداد العثمانيين أهمية موقعها فعينوا لها ضابطاً وكان لها سور مزود بالمدافع وقد كان لضابطها مال ورجال^(١)

أما عن تاريخ وظهور مدينة الديوانية وأستبدال أسمها بالحسكة يستوجب الحديث عن القبائل والعشائر التي سكنت المنطقة^(٢) وإتماماً لفائدة نرى أن سبب تسميتها بـالديوانية بدلاً من اسم الحسكة يعود إلى نتائج الخصومة والحروب التي وقعت بين قبيلة الخزاعل من جهة وقبائل الأقرع وعفك وجليحة من جهة أخرى فقد كانت تثار هذه الحروب لأتفه الأسباب مما أضطر قبيلة الأقرع لأن تبني لها قلعة على الجانب الأيسر من نهر اليوسفية المندرس مقابل قرية أبي الفضل^(٣) كما بنت الخزاعل قلعة على الجهة الثانية من الفرات في موقع الفرقة العسكرية الأولى سابقاً وكذلك داراً للضيافة من الأجر والطين واطلق عليها اسم (الديوانية) لأن المضيف لا يبني من الطين والاجر وإنما يبني من القصب^(٤)

لذلك نجد أن أصول بعض المدن في العراق ترجع إلى مبادرة أحد الشيوخ المنتسبين بتأسيس قرية صغيرة أو قلعة في منطقة عشائرية ويتبعه بعض أفراد العشائر بالاستقرار حولها فتنمو حتى تصبح بلدة أو مدينة وفيما يلي عرض بعض الأمثلة فقد أنشأت مدينة الديوانية كدار ضيافة لرؤساء الخزاعل^(٥) فيقل مثلاً "ديوانية خزاعة ثم كثر أطلاق اسم (الديوانية) مجرد عن الاضافة بعد أن كانت تنسب إلى خزاعة وذلك لشروع أسمها واشتهارها بين القبائل حتى حل أسمها محل (الحسكة) وصارت لا تعرف إلا بأسمها الجديد الديوانية^(٦).

ومدينة الديوانية التي أنشأها رؤساء الخزاعل ليرقيم فيها كاتبهم الذي يعهدون إليه امور الجباية ثم صار الناس ينشئون حولها الصرائف فالأكواخ فالبيوت ولم تزل العمارة في تطور وتوسيع وازدهار وفي سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م فأصبحت بلداً يقطنه التجار والباعة والصناع والحاكة وأصبحت نفوسها ما يقارب عشرين ألف نسمة^(٧) غير أن أحد الباحثين له رأي يخالف ذلك حيث يقول فيه "لا يمكن الاعتماد على أن تلك المدينة أنشئت في ذلك العام اي ١٨٥٨ م وذلك لأن اسم الديوانية ظهر قبل هذا التاريخ حيث ذكرها الرحالة الألماني (نيبور) في رحلته سنة ١٧٦٥"^(٨)

(١) البصري ، عثمان بن سند ، مطالع السعود ، تحقيق عماد عبد السلام وسهيلة عبد المحيد ، مطبعة دار الحكمة ، الموصل ١٩٩٦ ، ص ٧٨ .

(٢) القداسية بين الماضي والحاضر ، المصدر السابق ، ١٩٨٦ ، ص ٤١ .

(٣) الالوسي ، يونس ، لواء الديوانية ماضيه وحاضرها ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١١ .

(٤) العامري ، أحمد ، القاموس العشائرى العراقي ، مطبعة الرافدين ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(٥) حسين ، عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٦) بابان ، جمال ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ، مطبعة الاجيال ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ج ١ ، ص ١٢٤-١٢٥ .

(٧) الحسني ، عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ١٥٤ .

(٨) الشيباوي ، نعيم عبد جودة ، الديوانية في ظل الاحتلال البريطاني ١٩١٧-١٩٢١ ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية ابن رشد ، ص ١٤ .

وفي ظل هذا التباين في الآراء والآحاديث يتبدّل إلى الذهن سؤال متى تأسست مدينة الديوانية ، ومن هم عمّارها وبناتها الأوائل .

ويرجح أن تأسيس مدينة الديوانية في منتصف العقد العاشر من القرن الحادي عشر الهجري أي ١٠٩٥هـ / ١٦٩٤م تقريباً وربما أن مؤسس وباني مدينة الديوانية الحالية يقع في أحتمالين الأول هو أحد سكّنة مدينة الحسكة المقابلة لها في الضفة الشرقية من نهر دنياب لكونها كانت أيلة للخراب في ذلك الوقت والاحتمال الثاني وهو الارجح أن مؤسسها وبانيها هو سلمان بن عباس الخزاعي^(١) زعيم قبيلة خزاعة للفترة من ١٦٥٠م - ١٧٢٤م وليس كما ترجم بعض المصادر بأن مؤسسها هو حفيده حمود ال حمد ال عباس رئيس قبيلة خزاعة للفترة من ١١٦٠هـ - ١٧٤٧م / ١١٩٢هـ - ١٧٧٩م^(٢) وذلك لعدم وجود سند يدعم هذا الرأي وارى من المستحسن هنا أن أشير إلى أن "سلمان بن عباس قد تحول من منزله القديم الكائن على مجرى فرات الرماحية إلى بلدة الحسكة"^(٣). ولكننا نظن بأن تحول سلمان كان إلى بلدة الديوانية وليس إلى بلدة الحسكة لأن الحسكة تسكنها غالبية عظمى من قبيلة الأقرع الغريم الرئيس لقبيلة خزاعة ومن تاريخ تحول سلمان بن عباس بدأت مدينة الديوانية بالظهور ، وهذا ما أكدته رحلة الدكتور (المسيو أوتر) التي جرت سنة ١٧٤٣م في زيارته لمدينة الديوانية ووصفه لها بأنها "مدينة كبيرة وهي واحدة من أغنى بلاد العرب في السلع الغذائية ومقابلته لحاكمها الضابط (علي اغا) الذي كان مقره في الديوانية أدعى للتصديق من كل الأقوال الأخرى لأنه شاهد على العصر"^(٤)

وفي عام ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م خلال حكم والي بغداد عبد الكريم باشا (عبدي باشا) وخلفه محمد وجيه باشا في العام نفسه^(٥)

أرتحل أهل الجانب الغربي (ساكنى مدينة الديوانية) إلى الجانب الشرقي(الحسكة سابقاً) التي زالت من الوجود في هذا التاريخ^(٦) وذلك تم بعد أن هجم كريدي ال ذرب رئيس خزاعة على قلاع الحكومة العثمانية الواقعة في الجانب الغربي وأستولى عليها وأخذ المدافع والاطواب والمعدات الحربية منها وسلب الاهلين وذكر انه لم يبقى بعد هذا التاريخ في الجانب الغربي احد

(١) سلمان بن عباس بن مهنا بن علي وهو ثانى رئيس قوي لقبيلة خزاعة ثغر على اسمه مدون في التاريخ في سنة ١١٠٢هـ - ١٦٩٤م ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر: - الساعدي ، حمود ، دراسات عن عشائر العراق (الخزاعل)، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧٤، ص ١٢-١٣.

(٢) تجد الإشارة هنا بأن أحد الباحثين قد وقع بخطأ كبير عندما أعتبر تسمية مدينة الديوانية بدأت بالظهور عام ١٧٤٧- ١٧٧٩م (١٦٩٥- ١٨٥١م) هذا من جهة ومن جهة أخرى حينما ذكر بأن المؤرخ الكركوكلي هو أول من أشار إلى ذكرها عام ١٨٧١. للمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع ينظر : - المنصوري ، سامي ناظم ، الديوانية في العهد العثماني الأخير ١٨٥١- ١٩١٧ ، دار المدينة الفاضلة ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص ٢٢-٢٣.

(٣) الساعدي ، المصدر السابق ، ١٩٧٤ ، ص ١٥.

(٤) الورد ، باقر أمين ، بغداد خلفاؤها ولاتها ملوكها رؤسائها منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ (٧٦٢م) إلى عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ، دار التربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣٩.

(٥) الميلي ، فيصل غازي ، تاريخ تأسيس مدينة الديوانية الحالية ، مباحث فراتية في الجغرافية والتاريخ والآثار ، الجزء الثاني ، تحت الطبع ، ورقة ٩.

(٦) مجموعة من المؤلفين ، القادسية بين الماضي والحاضر ١٩٨٧ ، مطبعة الديوانى ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦ .

لأن غارات الخزاعل والشبل دامت على الجانب الغربي وبقي أهل الجانب الشرقي ساكنين داخل سورهم حتى سنة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م^(١).

ونعتقد انه لما كان اسم (الحسكة) قد زال ونسخ بأسم (الديوانية) وصارت المدينة سواء ما كان منها شرقي الفرات وهو (الحسكة) أو ما كان غربي الفرات وهو (الديوانية) لا تعرف الا بأسمها الجديد (الديوانية) فقد كان سكان الجانب الشرقي الذين يسكنون بداخل سور يسمى (سور الديوانية) كتحصيل حاصل او لأنهم كانوا يسكنون مدينة الديوانية الواقعة في الجانب الغربي من النهر وعند نزوحهم منها الى الجانب الشرقي كما بينما ذلك قبل قليل فأنهم اعطوا اسم مدینتهم السابقة (الديوانية) للسور او هكذا كما يبدوا من سير الاحداث.

تتمثل التحصينات والاستحكامات العسكرية في مدينة الديوانية خلال العهد العثماني على الشكل الآتي :

- ١- السور الذي يحيط بالمدينة من ثلاثة جهات ويعد خط الصد الدفاعي الامامي
- ٢- القشلة القديمة تقع بالجانب الغربي للمدينة (خارج حدود السور)
- ٣- القشلة الحديثة تقع بالجانب الشرقي للمدينة (داخل حدود السور)
- ٤- السراي القديم يقع بالجانب الشرقي للمدينة (داخل حدود السور)

(١) القادسية بين الماضي والحاضر ١٩٨٧ ، المصدر السابق ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦ .

١- السور

- تاريخ بنائه :

أقدم أشارة ذكرت أمر هذا السور في عهد الوالي العثماني مصطفى باشا دال طبان سنة (١١١٤هـ - ١٦٩٩م) أذ قام هذا الوالي من أجل أضعاف قوة الشيخ سلمان بن عباس الخزاعي أصدر عفواً عن القبائل ومنهم الامان وأمنهم على عيالهم وأموالهم بهدف اضعاف قوة الشيخ المذكور ، و من أجل تعزيز سلطة الحكومة أمر بترميم سور الديوانية وأمر ان يحافظ على السور من تعديات القبائل عليه ، ويرجح ان يكون بناء السور أقدم من هذا التاريخ لأن تأسيس مدينة الحسكة كان أقدم من هذا التاريخ بكثير وسيماً إذا ما عرفنا بأن مدينة الحسكة في أول أمرها كانت حصنًا عسكرياً ولابد لهاذا الحصن من سور يحميه فقد تكون هنا البداية الأولى لبناء السور وليس في عهد الوالي مصطفى دال طبان^(١).

- مراحل التجديد والترميم :

ترتبط مراحل تجديد وترميم السور بالواقع السياسي لمدينة الديوانية والمناطق المجاورة لها وهذا الواقع يتمثل بعلاقة الحكومة العثمانية مع القبائل والعشائر الموجودة في المنطقة هذا من جهة ومع ظهور وتنامي الحركة الوهابية وشن غاراتها على المدن العراقية من جهة أخرى

المرحلة الاولى : ترجع الى عهد الوالي مصطفى باشا دال طبان زود السور بهذه المرحلة من الترميم بـ "أربع قطع من مدافع الهalon المسماة خميرة وبالميز وأعد كل ما يقتضي من ألات وأدوات وهيأ اللوازم من صغيرة وكبيرة لهذا الغرض وأعطى الاوامر لمن يهمه"^(٢) وربما أنها مرحلة جيدة من التجديد والترميم فقد يكون السور بهذا الوقت قد أضيفت له عناصر عمارية مثل الابراج والشرفات والدعامات التي تسند السور من الداخل

المرحلة الثانية : حصلت ضمن مدة حكم الوالي حسن باشا سنة ١١١٧هـ - ١٧٠٥م^(٣).
جرد حملة عسكرية كبيرة على الشيخ سلمان بن عباس الخزاعي ، الذي أتخد من الحسكة مقراً له بعد أن طرد الموظفين الاتراك منها وبدأ يهاجم القوافل التجارية ولما وصلت أخبار حملة الوزير حسن باشا العسكرية الى المدينة أنسحب قبيلة خزانة من الديوانية وتحصنوا في السماوة^(٤) أذ امر الوزير حسن باشا في نفس السنة أي سنة ١١١٧هـ - ١٧٠٥م "بنقل الاطواب (المدافع) الى سور الديوانية لأجل حمايته وأيضاً أمر بترميمه ومن أن يحافظ عليه خشية هجوم سلمان الخزاعي وصولته^(٥) لقد قام هذا الوزير بتجديد وترميم السور وتزويده بالمدافع ، وهذا

(١) الريشاوي ، متبع خلف ، أمارة الخزاعل في العراق ، دار الضياء للطباعة، النجف الاشرف، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٧٦.

(٢) العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، شركة التجارة للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٣ ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .
(٣) علي ، علي شاكر ، العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ دراسة في احواله السياسية ، مطبعة الشعب ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٩ .

(٤) الريشاوي ، متبع ، المصدر السابق ، ٢٠٠٩ ، ص ٨٥ .
(٥) الساعدي ، حمود ، الديوانية أو الحسكة قديماً وحاكمها علي أغـا ، مجلة الرسالة ، السنة الاولى ، العدد ٢٢ ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ .

الترميم جاء بعد ان عبث الشيخ سلمان بجدران السور وجعل فيه ثغرات وربما قام الشيخ المذكور بنقل مواد بنائية من السور الى أبنية أخرى تعود له، فقد جاء هذا التجديد لسد الثغرات الموجدة فيه وبناء الاجزاء المتداعية منه ، وأضافة أرتقادات أخرى له لكي يصبح أكثر متانة وقوة ، ومما لا شك فيه ان الوزير قام بعمل أماكن مخصصة في السور لوضع المدفع عليه كالحجرات التي تعلو الابراج وتفتح فيها فتحات لرمي قنابل المدفع منها ، و مادة البناء التي استخدمت في ترميم السور في هذه المرحلة كانت من الاجر والطين ..

المرحلة الثالثة: في عهد الوالي سليمان باشا أبو ليلة المملوكي الذي بلغ الحسكة والديوانية ونصب خيامه على نهر الفرات ^(١) توجه الوالي الى الحسكة والديوانية في سنة ١١٥١ هـ - ١٧٣٩ م " وأمن طرقاتها وحصنتها من جميع جهاتها ^(٢) وهذا ما أكدته المصادر الأخرى بأن الوالي سليمان باشا ابو ليلة أجرى بعض الاصلاحات في الديوانية ليصلاح منها بعض شؤونها وعندما دخل الديوانية حصنها من جميع جهاتها ^(٣) وعلى ما يبدو ان هذه المرحلة من التجديد والترميم كانت كبيرة حيث اضيفت لهذا السور برجان فضلا عن ان السور رمم وجدد من جميع جهاته .

وهذه المرحلة من الترميم قد تتطابق مع ما ذكره المرحوم ودai العطية حينما قال "كان الجانب الشرقي محاط بسور يلتقي طرفاً بنهار الفرات وكان النهر حاجزاً طبيعياً يصد غارات خزاعة على البلدة في ذلك الوقت وكان للسور في هذا الوقت برجان (مفتوحان) أحدهما في الجهة الشرقية وثانيهما في الجهة الغربية ^(٤)" .

المرحلة الرابعة : في زمن الوالي سليمان باشا الكبير على الرغم من القسوة التي اتبعها هذا الوالي في قمع ثورات عشائر خزاعة والتبدلات التي أجرها في زعمتها ، إلا أن ذلك لم يمنع هذه العشائر من الخروج على سلطته في العراق في السنوات (١٧٩٣-١٧٩٦-١٧٩٥) وقد كانت أستجابة هذا الوالي لهذا التحدي سريعة وفاسية إذا أمر بالمدفعية بالمسير لضرب الخراعل بقوة ^(٥) ويوصف هذا الوالي بأنه " مهم بالعمارة العسكرية والحربية أذ بني العديد من القلاع والحسون والقنطر وعمر الكثير من أسوار المدن العراقية وكان كثيراً ما يؤكد على الباب العالي في أسطنبول على ترميم القلاع والأسوار ^(٦) وهذا ما أكدته المصادر حيث ذكر بهذا الشأن " فقد استطاع بعض الولاة العثمانيين مثل سليمان باشا الكبير القيام بحملة من الاعمال والاصلاحات العمرانية فقد عمر سور بغداد وبنى قلاعاً في كوت الامارة ومخازن للغلال في احياء بدرة وجصان ورم سور منذلي كما ررم سور البصرة وكذلك سور الحلة واحدث سورا

(١) الكركوكلي ، رسول حاوي ، دوحة الوزراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة أمير قم ، ط ١ ، ص ١٧٤.

(٢) السويدي ، عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٢٨.

(٣) الساعدي ، حمود ، المصدر السابق ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٦.

(٤) العطية ، ودai ، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ، مطبعة شريعتم ، أيران ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٤-٣٥.

(٥) الانصارى ، تنين صادق ، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢ م ، دراسة سياسية ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٧.

(٦) المiali ، رجوان فيصل ، القلاع في وسط وجنوب العراق خلال فترة الاحتلال العثماني تخطيطها وعمارتها ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠-١١.

لماردين ^(١) والامر نفسه عندما تذكر المصادر بأن سليمان باشا الكبير " هو الذي بنى سور مدينة النجف سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٨ م ^(٢)

ومن جانب اخر ترميمه وتجدیده لسور مدينة الحلة ومدينة النجف القريبتين من مدينة الديوانية ، مما يرجح ان هذا الوالي قد جدد سور الديوانية ، فقد ورد بهذا الشأن " في عام ١٨٠٢ م بترت مدينة الديوانية كبلدة ذات سور يمتد من ضفتى الفرات " ^(٣) ، تجدر الاشارة هنا بأن السور في هذا التاريخ ظهر بحلته الجديدة مما أدى الى ان تبرز المدينة بسورها المرمم والمجدد بشكل مختلف عن سابقه فيما ان المدة هي ضمن حكم الوالي المذكور ، كما هو الحال في تجدیده لسور الحلة والنجد والبصرة في نفس الفترة تقريباً .

المرحلة الخامسة : حصلت في سنة ١٨٥٠ م - ١٢٦٧ هـ عندما ارتحل أهل مدينة الديوانية من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي بعد أن هجم كريدي ال ذرب رئيس خزانة على قلاع الحكومة العثمانية الواقعة في جانبها الغربي وأستولى عليها ، وأخذ الاطواب والمدافع والمعدات الحربية وسلب الاهليين وذكر انه لم يبق بعد هذا التاريخ في الجانب الغربي أحد لأن غارات الخزاعل والشبل دامت على الجانب الغربي وبقي أهل الجانب الشرقي متحصنين داخل سورهم حتى سنة ١٨٥٧ م - ١٢٧٤ هـ ^(٤) فقد ورد بهذا الشأن " كانت مدينة الديوانية بسورها في الجانب الشرقي تتحصن من هجمات خزانة والشبل " ^(٥) وهذا ما أكدته مصادر اخرى " نزح جميع سكان الديوانية الغربيين الى الجانب الشرقي تاركين دورهم القديمة فسورووا البلدة لتخفيهم من غارات القبائل وشروعها وأخذوا من أبناء عشيرة الاكرع حراسا وأوكلوا لهم حراسة البلدة الوليدة ودورها وأسواقها وخاناتها لقاء أجر معلوم " ^(٦) يتضح من هذا النص أي عبارة (البلدة الوليدة) بأن السكان النازحين من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي قاموا بعدة إصلاحات داخل المدينة ومن أبرزها هو ترميم وتجديد السور وذلك ل حاجتهم الماسة اليه فقد ورد .

بها الشأن " عندما انتقل أهالي الديوانية من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي عام ١٨٥٠ م جدد سور الجانب الشرقي " ^(٧) من خلال هذه الاشارة والاسارات التي سبقتها يتبيّن بأن سور مدينة الديوانية قد تعرض الى مرحلة أصلاح وتجديد مهمة جداً من قبل الاهالي عند نزوحهم الى الجانب الشرقي ويرجح أن يكون البناء فيه من الاجر والجص وتحضير كل مستلزمات التحصين الكافية مثل تجديد الابراج وهيكيل الجدران من الداخل والخارج ومع تقدم فن عمارة التحصين بهذا التاريخ فقد أضيف لهذا السور عدد من الابراج الدفاعية دائريّة الشكل هي

(١) نورس ، علاء موسى ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ - ١٨٣١ م ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) الحكيم ، حسن عيسى ، أسوار مدينة النجف الاشرف ، مجلة سومر ، الجزء الاول والثاني - المجلد (٣٨) ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٣ .

(٣) عبود ، زهير كاظم ، أوراق من ذاكرة مدينة الديوانية ، دار الضياء للطباعة ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٨ .

(٤) القادسية بين الماضي والحاضر ١٩٨٧ ، المصدر السابق ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦ .

(٥) غركان ، رحمن ، في الديوانية الماء يلد الأمكنة ، مجلة الديوانية ، العدد ٤ ، - ص ، ٢٣ - ٢٢ .

(٦) عبود ، المصدر السابق ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٨ .

(٧) الزيادي ، محمد صالح ، قراءة أولية في الحسكة نشأتها وعلاقتها بالسلطات العثمانية ١٧٠١ - ١٨٢٠ م ، مجلة القادسية الفادسية للعلوم الانسانية ، المجلد ١١ ، العدد ٢ - ٢٠٠٨ لسنة ٢٠٠٨ ، ص ٣٢٨ .

الشائعة في عمارة الابراج في العصر العثماني وتدعمها الفتحات الشاقولية (المزاغل) ، وكذلك أحکام بوابة السور ومدخله بالتحصينات الازمة لذلك

المرحلة السادسة : تمت هذه المرحلة من الترميم في عام ١٩١٧م عند دخول القوات البريطانية إلى العراق ، وقد تضاربت الآراء في شأن هذا التجديد والترميم فأن بعض المصادر تذكر بأن القوات البريطانية حين دخلت إلى الديوانية قامت به وبهذا الصدد يذكر لاشك بأن الانكليز عند استعمارهم الديوانية قد أعادوا ما تهدم من سور المدينة وذلك ليكون رادعاً لقبائل الديوانية بعد أن ذاقوا منهم الامرين ^(١) ومما يؤكد ذلك فقد "أصدر الحاكم السياسي (ديلي) أمره في أن ينزل الخيال عن ظهر جواده قبل أن يبلغ سور المدينة بـ (٢٠٠) متر ، فيدخلها وهو يقود فرسه بيده" ^(٢) ومن هذين النصين تبين بأن القوات البريطانية كانوا يولون السور اهتمام خاص ويعد لديهم نقطة خروج ودخول للمدينة ، أما الرأي الآخر فيذكر بأن أهالي مدينة الديوانية قاموا بترميم سور مدینتهم حيث تحدث المصادر عن هذا الترميم فتفقون .

أما أهالي الديوانية لم يقفوا مكتوفي الايدي أمام حالة عدم الاستقرار التي حلت بمدينتهم أبان الاحتلال البريطاني فتولى شباب البلدة الحفاظ على الامن والنظام فاستولوا على السلاح والمعدات الحربية وقسموها فيما بينهم وجددوا بناء المتهدم من السور وأقاموا عليه ستة قلاع وكان يقودهم الرئيس العام في البلدة محمد ال حاج محيسن بن كور علي ^(٣) وبهذه المرحلة من تجديد السور يذكر "أما أهالي الديوانية فقد أسرعوا فجددوا بناء الأجزاء المتداعية من سور البلدة أستعداداً للطوارئ وأقاموا عليه ستة أبراج" ^(٤) بهذا الشأن يذكر أيضاً "قام أهالي الديوانية بترميم سور مدينة الديوانية من جوانب المدينة الاربعة وبنو عليه ستة قلاع واحدة منها غربي الديوانية في الثكنة العسكرية وأودعوا حفظها للجند الموجود هناك" ^(٥) .

اما بالنسبة للقلاءع والابراج الاخرى المقاومة على السور فأن البرج الثاني يقع "بالركن المقابل لطريق الامام ابي الفضل الذي يبعد عن الديوانية ميل واحد من جهة الغرب الشمالي" ^(٦) والبرج والبرج الثالث فيتخلل السور من جهة باب الدغارة ويقع شمال البلدة والبرج الرابع يقع في الموقع المقابل لبلدة الفوار الخامس في باب الفوار وكلاهما في شرقى البلدة ^(٧) والبرج السادس الذي يدعم السور فيكون "عند النهر من جهة الشرق وأودعوا حفظها لهم فكان يحرسه ليلاً عشرة أشخاص من الاهالي وعشرة من الضابطية" ^(٨) .

(١) القطن ، عبد الكرييم ، مذكرات من جنوب العراق من الطفولة الى المنفى ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ص ١٣٣ .

(٢) مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ، من رجال ثورة العشرين العراقية ، تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبورى ، مطبعة دار الثقافة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٠ - ١٣٣ .

(٣) الدوري ، أسامة عبد الرحمن ، الديوانية في سنوات الاحتلال البريطاني في ١٩١٧ - ١٩٢٠ ، مجلة القادسية ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، مجلد ٢ ، العدد ٤ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٩ .

(٤) الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مطبعة الشعب ، بغداد ١٩٧٤ ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ .

(٥) الوعاعظ ، مصطفى نور الدين ، الروض الازهر في تراجم آل جعفر ١١٨٠ - ١٣٦٨ هـ / ١٧٦٦ - ١٩٤٨ م ، مطبعة الاتحاد ، الموصل ، ١٩٤٨ ، ص ٤٥٥ .

(٦) الوعاعظ ، المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .

(٧) العطية ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٨) الوعاعظ ، المصدر السابق ، ١٩٤٨ ، ص ٤٥٥ .

وصف السور:

كان لمدينة الديوانية في العهد العثماني كما أسلفنا سور يحيط بالجانب الشرقي فقط ومن خلال الزيارات الميدانية تتبع وتقصي أثار السور فقد تبين أنه مبني على شكل نصف دائرة أذ يبلغ طوله الكلي حوالي (٢٠٠٠) متر، تتوزع بالشكل التالي يبلغ طول الضلع الشمالي (٤٧٠) متر، الضلع الجنوبي طوله حوالي (٦١٠) متر، في حين كان الضلع الشرقي وهو الضلع الكبير والرئيس من أضلاع السور الثلاثة لأنه يربط الضلعين الشمالي بالجنوبي حيث يبلغ طوله حوالي (٩٠٠) متر، وهذا الضلع يمتد من جهة شارع علوة الأسماك القديمة (شارع المواكب اليوم) .

أما جهة النهر يعد بمثابة عائق طبيعي يحمي سكان المدينة من الاعتداءات الخارجية فهي من غير سور وطول هذا الجانب (٩٨٥) متر، ولابد من الاشارة بأن السور بكل أضلاعه "بني بمادة الطين والاجر" ^(١) والمادة الرابطة بين صفوف ميدامييك الاجر هي الطين ومع مرور الوقت وتكرار مراحل الترميم أستبدلت مادة الطين بمادة الجص فأصبح السور مبني من مادة الاجر والجص (لوح - ١) ويبلغ ارتفاعه تقريباً (٦) متر ، ويرجح لم يكن من الاسوار المرتفعة والعالية ، أذ لانملك قياسات دقيقة عن ارتفاعات هذا السور لأنه منتشر تماماً في الوقت الحاضر هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، ان مع استخدام اسلحة متطرفة في العصر العثماني أخذت ملامح العمارة الحربية والعسكرية تتواتم وهذا التطور الجديد في التسليح عكس ما كان عليه الحال في العصور السابقة فاصبحت ارتفاعات الاسوار والابراج اقل بكثير بعد أن أصبح في استطاعة الات الحرب الحديثة هدم الحصون والاسوار المرتفعة مهما بلغت من الارتفاع والضخامة ومع بداية القرن ١٦ / ١٠ هـ انتشرت المدفعية وأتقن فنها في فرنسا وتركيا ولهذا أثر كبير على التحصينات التي جرت العادة لحماية المدن بها فلم تعد الاسوار العالية قادرة على تحمل ضربات المدفعية وكان لابد من تقوية هذه الجدران والاسوار بميل كثيف من الرمال وأمعانا في حماية الاسوار خفضت ارتفاعاتها لحجبها قدر الامكان عن متناول العدو ومدفعيته ^(٢) ويبلغ سمكه تقريباً مترین ، أذ كانت الاسوار في العهد العثماني تبنى من الاحجار والصخور غير المهدمة وكذلك من مادة الرهص (الصخور الطينية) ^(٣)، غير المهدمة المتراسقة بعضها على بعض ثم يغلف السور بمادة الاجر المهندي ليكون اكثرا سماكا ويتحمل ضربات المدافع فضلا عن مظهره الجميل وهذا ما شاهدته اثناء زيارتي الميدانية للقطع المتبقي من سور مدينة النجف الاشرف (لوح - ٢) ، وربما بني سور الديوانية بنفس مواد ومواصفات بناء سور النجف .

وتذكر بعض المصادر الامتدادات والابعاد الخاصة بهذا السور "يمتد سور الديوانية من شمال البلدة في موضع هو اليوم مديرية التربية في المحافظة ليمتد شرقاً في نصف دائرة تتوسطها بوابة في وسطه في الجانب الشرقي هي باب الدغارة في موضع هو ألان آخر سوق التجار الكبير ومن ملك يعود ألان الى ورثة الحاج صلال فاضل الموح ثم ينطفئ نحو الجنوب

(١) الفادسية بين الماضي والحاضر ١٩٨٦ ، المصدر السابق ، ١٩٨٦ ، ص ٤٣ .

(٢) للمزيد من التفصيل عن التطور الذي حصل على الاسوار في العصر العثماني ينظر :- عثمان ، محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، ١٩٨٨ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) للمزيد من التفصيل عن مادة الرهص البنائية ينظر :- الغراوي ، الشيخ محمد رضا ، اللب الباب في غريب اللغة والحديث والكتاب ، تحقيق السيد احمد الحسيني ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

الشرقي لينتهي عند النهر ^(١) وعند تبعه ميدانياً تبين ان السور يبدأ بالقرب من بيت سيد عباس الزاملي القريب من مديرية التربية الحالية ويأخذ طولاً الى منطقة السوق أي باتجاه قصر الثقافة اليوم ثم ينبعط على شكل نصف دائرة الى شارع علوة الاسماك القديمة (شارع المواكب حالياً) ويستمر السور بالأمتداد حتى يصل الى نقطة هي اليوم فتحة سوق التجار من جهة شارع علوة الاسماك وبهذا المكان يقع مدخل السور الرئيس (مجسم - ١) وهذا ما وصفه شاهد عيان فقال ما نصه " كان على جانبي بوابة السور غرفتان كبيرتان لا بد أنهما كانتا مخصصتين للحراسة ^(٢) كما ذكر شاهد عيان اخر بأن هذا المدخل هو الجزء الاخير الذي بقى عامراً من أجزاء السور حتى سنة ١٩٤٥ ووصفه بأنه كان كالجبل لعلو بنائه وضخامته وكمية مواد البناء التي وضعت فيه من الاجر والجص والطين وأن الباب الذي كان يغلق هذا المدخل معمول من مادة الخشب السميك ومغطى بصفائح من الحديد تثبت بواسطة مسامير كبيرة الحجم ذات رؤوس دائريه الشكل ^(٣) بني هذا المدخل وفق نظام البوابات والمداخل المزورة (المنكسرة) وأن هذا النوع من المداخل يجعل المهاجم ينحرف كلها بزاوية قائمة مما يعطي فرصة كبيرة للمدافعين من توجيه ضربات قوية للمهاجمين علمًا أنها ظاهرة عمارية قديمة وظهرت في عماير العصر العثماني كما هو الحال في مدخل قلعة ذرب في قضاء غamas ^(٤) .

ويستمر السور بالأمتداد حتى يصل ماكنة الثاج الحالية العائدة لأسرة ابو حاجم بحيث يخترق الجدار الفاصل بين ماكنة الثاج والجرشة وال محلات العائدة لهذه الاسرة ، ثم ينبعط بالاتجاه الجنوبي الشرقي قاطعاً مسافة طويلة حتى يصل قرب محلات الحاج ابو احسان ، حيث تنفتح بهذا المكان بوابة ثانية صغيرة في هذا الضلع من السور مقابل سوق الكرفت ^(٥) وتنتهي مسيرة أمتداد هذا السور عند النهر بعد ان يقطع جزءاً من بناء المحكمة الحالية .

فضلاً عن ذلك فإن السور كان مدعم بأبراج عددها ستة الاول يقع في الثكنة العسكرية من جهة النهر (مجسم - ١) ، والبرج الثاني يقع في ركن السور المقابل لمفرق أبو الفضل ويقع شمال غربي المدينة وتحديداً قرب قصر الثقافة اليوم بالقرب من هذا البرج كانت أرض فضاء واسعة وفارغة " كانت بجوار السور الشمالي للمدينة ساحة وفضاء يختاره الناس في المدينة للاحتفال بعيد ^(٦) وكذلك يصف هذا الجانب من السور " كان الفضاء الممتد ما بعد سور المدينة ومزار ابو الفضل متنسقاً لأهل المدينة " ^(٧) أما البرج الثالث على باب الدغارة والبرج الرابع من الجهة المقابلة

(١) عبود ، المصدر السابق ، ٢٠٠٨ ، ص ١١٥-١٢٨.

(٢)قطان ، عبد الكريم ، المصدر السابق ، ٢٠٠٥ ، ص ١٣٢.

(٣)أخذت هذه المعلومات من السيد محي السيد عصفور من مواليد الديوانية عام ١٩٢٧ وذلك في لقاء معه في بيته بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٥ الساعة الحادية عشر صباحاً .

(٤)الشيخ ، علي ، قلعة الخرااعل ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القادسية ، المجلد ١١ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٩.

(٥) الكرفت مفردة تركية تعني الخارج عن القانون ومنطقة الكرفت في مدينة الديوانية كانت فيما مضى من الزمان مكاناً لتجمع الاشخاص الخارجين على السلطة ، كونها لم تدخل ضمن حدود السور واصبحت بعد التوسع العمراني الحديث مكاناً لتجمع العمال واصحاب عربات النقل وعمال بيع (الجت والبرسيم) ، فضلاً عن تتعيل الخيول والحمير . أخذت هذه المعلومات من السيد محي السيد عصفور من مواليد الديوانية عام ١٩٢٧ وذلك في لقاء نعه في بيته بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٥ الساعة الحادية عشر صباحاً .

(٦) التيميمي ، صادق ، أول الزمان مذكرات صبي من مدينة عراقية - مطبعة المعتز ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٥٦ .

(٧)قطان ، المصدر السابق ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤٠.

للمدينة الفوار والخامس على باب الفوار وكلاهما شرقي البلدة السادس عند جهة الجنوب الشرقي للبلدة ويحتمل مكانه اليوم على حافة النهر قرب بناية المحكمة الحالية ، أما عن شكل هذه الابراج ، فأنها كانت دائيرية الشكل مقارنةً مع الابراج الموجودة على العماائر والاسوار التي تعود إلى العصر العثماني أذ يرد بهذا الشأن " أن أسوار المدن العراقية التي بنيت في العهد العثماني كانت مزودة بـ الابراج الدائرية الشكل كما هو الحال في ابراج سور مدينة البصرة .

وكذلك ابراج سور مدينة الموصل وابراج سور مدينة النجف الذي كان مزود بـ ابراج دائيرية الشكل ^(١) ومما لا شك فيه بأن هذه الابراج الموجودة في سور مدينة الديوانية كانت مزودة بـ استحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمي منها بالبنادق ، وعلى ما يبدو أنها كانت على شكل حنایا عريضة وكبيرة ذات عقود مدبية من الداخل و ضيقه من الخارج لكي تجعل المدافعين يصيرون الهدف بسهولة كبيرة ، وهذا العنصر العماري (المزاغل) موجوداً في العمارة القديمة والاسلامية . كما أن ابراج سور الديوانية تحتوي على فتحات كبيرة الحجم تستعمل لمد رقبة المدفع علماً بأنه كان " مزود بـ المدافع التركية الصنع التي جلبها من أسطنبول الوزير مصطفى باشا دال طبان " ^(٢) إضافة إلى ذلك فإن هذه الابراج لها وظيفة إنسانية أخرى هي دعم البناء وتقوية جدرانه ، كما ان لها وظيفة جمالية في البناء ، ويرجح أنها كانت من طابقين ، ولابد لهذا السور والابراج كانتا مزودتان بالشرفات (عرائس السماء) التي بدورها تعطيه صفة جمالية وعسكرية ودفاعية كما زود بعدد من الدعامات (لوح - ٣) مما يعطيه قوة ومتانة .

٢- **القلعة القديمة:** القشلة لفظة تركية أصلها (فاشلاغ) تعني بالعربية (أشتى) وهي التكنة العسكرية التي يسكنها الجنود ، ومن أشهر القشل في العراق قشلة بغداد التي تطل على نهر دجلة شمال المدرسة المستنصرية وتسمى (قشلة البيادة) اي قشلة المشاة ^(٣) .

تقع بـ بناءة قشلة القديمة في مركز مدينة الديوانية بالجانب الغربي (صوب الشامية) ^(٤) بالقرب من بـ بناء المسافر خانة (فندق السرور) الذي تعود ملكيته للسيد البحرياني ^(٥) في نقطة هي اليوم محطة القطار القريبة من بوابة الفرقـة الاولى وبهذا تكون القشلة خارج حدود سور المدينة بـ مسافة تقدر حوالي (١٥٠٠) متر .

بنـاها الوالي العثماني في العراق محمد نجيب باشا عام ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م ^(٦) اندرست هذه القشلة تماماً ولم يبق منها أي شيء يذكر ، ولم نستطع معرفة شكل بـ نياتها وأبعادها وقياساتها كون

(١) الدراجي سعدي ، تحصينات مدينة النجف دراسة عمارية لأـسوارها ، العمارة العربية قبل الاسلام وأثرها بعد الاسلام ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٣ .

(٢) العزاوي ، عباس ، المصدر السابق ، ١٩٥٣ ، ج ٥ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٣) ثوبني ، علي ، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، مطبعة النهار الجديد ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ١١٦ - ١١٥ .

(٤) الـربيعي ، نبيل عبد الـمير ، تاريخ الـديوانية السياسي والـاقتصادي والـاجتماعي ، مطبعة دار الفرات للـثقافة والـاعلام ، بـابل ، ٢٠١٥ ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٥) القطـان ، عبد الكـريم ، المصدر السابق ، ٢٠٠٥ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) والـي عـثماني تركـي الـاصل من سـكـنة أـسـطـنـبـول وـمن أـشـرافـها الـقـدـماء وـفي عـهـده استـعـملـت الطـمـغاـ (ـالـتـمـغـةـ) اي الـأـورـاق الـأـورـاقـ الرـسـميـةـ الـتـي تحـمـلـ شـعـارـ الـدـوـلـةـ وـصـدـرـتـ كـذـلـكـ فـي عـهـدهـ الطـوـابـعـ ، وـتـمـيـزـ هـذـاـ الـوـالـيـ خـلـالـ مـدـةـ حـكـمـهـ بـالـعـراـقـ بـذـكـائـهـ وـمـزـاجـهـ الـحـادـ وـقـساـوةـ قـلـبـهـ وـتـغـطـرـسـهـ .ـلـمـزـيدـ مـنـ التـفـصـيلـ عـنـ هـذـهـ الشـخـصـيـةـ:ـ الـوـرـدـ ،ـ باـقـرـ اـمـينـ ،ـ بـغـادـ خـلـفـانـهـ وـمـلـوـكـهـ وـوـلـاتـهـ وـرـؤـسـائـهـ مـنـ تـأـسـيـسـهـاـ عـامـ ١٤٤٥ـ هـ / ١٧٦٢ـ مـ إـلـىـ عـامـ ١٤٠٤ـ هـ / ١٩٨٤ـ ،ـ دـارـ التـرـيـةـ لـلـطـبـاعـةـ ،ـ بـغـادـ ،ـ ١٩٨٥ـ ،ـ صـ ٢٣٨ـ .ـ

الارضية التي بنيت عليها القشلة تغيرت كثيرا نتيجة للأبنية التي استحدثت عليها مؤخرا ، وعلى ما يبدوا من خلال مقارنتها مع القشلات الأخرى الموجودة في عديد من المدن العراقية مثل البصرة وبغداد والموصل وكركوك ^(١) أن تخطيطها الاصلي كان مستطيل الشكل ، بنيت من طابقين من مادة الاجر والجص وسقفت بالطرق نفسها التي تسقف بها العماائر العثمانية ، ربما كانت قشلة الديوانية تحوي على مشتملات ومرافق بنائية كثيرة . ومزودة بكافة العناصر العمارة الخاصة بالتحصين مثل الاسوار المتينة والابراج والمزاغل والشرفات .

٣- **القشلة الحديثة :** تقع هذه القشلة في مركز مدينة الديوانية في جانبها الشرقي، وهي اليوم ملاصقة لمبنى الادارة المحلية تطل واجهتها على النهر، وبهذا تكون هذه البناءة داخل حدود سور المدينة القديم مما يزيد في حصانتها.

بنيت عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م في زمن المتصرف سعيد باشا ^(٢) بعد ان جعلت مدينة الحلة قائمة ملحقة بلواء الديوانية ^(٣).

الوصف العام : القشلة مستطيلة الشكل تتتألف من طابقين ^(٤) مبنية بمادة الاجر والجص ومن خلال خلال الزيارات الميدانية لهذه البناءة وجدت بأنها ضخمة وجميلة جدا ، فقد زرودت بكافة الوحدات والمرافق البنائية التي من شأنها ان تزيد في قوتها ومتانتها و منها الاسوار القوية والمتينة التي فتح بها صف من المزاغل المستطيلة الشكل عددها سبعة قياساتها (٢٠،٤٠،٠٠،٤٠) م (لوح - ٤) كما انها تحوي على عدد من الحجرات والغرف أستخدمن لأغراض متعددة وأن الحجم الكبير للقشلة يؤكد بأن الحكومة العثمانية قد خصصت لها أموال طائلة ومواد بنائية كثيرة ومتعددة ومما يذكر بهذا الشأن " قدرت حكومة أسطنبول مبلغ قدره ٢٥٠٠ ليرة ذهبية لبناء القشلة والسراي " ^(٥) كما يذكر" بأن السيد موسى بن عمران المكوتر زود متصرف الديوانية بألف طغار من الجص جص الشنافية الممتاز وذلك لبناء القشلة والسراي " ^(٦).

(١) طاهر ، خالد سويف ، قشلة كركوك " الثكنة العسكرية" ، مجلة سومر ، مجلد ٤ ، السنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، ص ٢٤١ - ٢٤٦ .

(٢) الزيداني ، محمد صالح ، لمحات من الحياة السياسية في مدينة الديوانية حتى أوائل القرن العشرين دراسة تحليلية ، مجلة الفاسدية في الآداب والعلوم التربوية ، المجلد العاشر ، العددان ١-٢ ، ٢٠١١ ، ص ٧٣.

(٣) عندما أصدرت سلطة أسطنبول أوامرها إلى والي بغداد حسن رفيق باشا عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م بشأن إجراءات نقل اللواء من الحلة الى الديوانية وحددت المصارييف بما لا يزيد عن الف ليرة ذهبية لتعطية نفقات الانتقال فقام الوالي بدوره واجرى اتصالا مع متصرف الحلة علي رضا بك وابلغه بذلك لكن الاخير ابدى امتعاضه قائلاً كيف ينقل مركز اللواء من مدينة عامرة الى مدينة ليس فيها سراي يتسع لدوائر الحكومة ولا ثكنات عسكرية كافية للجند والالف ليرة لا تفي بذلك ، مما اضطررت الحكومة الى بناء القشلة والسراي في أن واحد . للمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع ينظر :- المهداوي ، علي هادي، الحلة في العهد العثماني المتأخر ١٨٦٩ - ١٩١٤ ، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤) لاتزال بقايا موجودة من بناء هذه القشلة سيماء واجهتها المطلة على النهر أذ نراها شاخصة البناء ، أما بقية أجزائها فأنها تغيرت أثناء مراحل التجديد والترميم المتكرر الذي مر عليها .

(٥) المنصوري ، سامي ناظم ، الديوانية وتواترها في وثائق الارشيف العثماني ١٨٦٥ - ١٩١٧ م ، دار المدينة الفاضلة للطباعة ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٦) العطية ، ودai ، المصدر السابق ، ٢٠٠٧ ، ص ٧٠ .

٤- السراي القديم : هو دار الحكومة والمقر الذي تدار منه شؤون البلاد^(١) وعادتاً تكون بناءة السراي أكبر حجماً من بناءة القلعة والمخفر بحكم الوظيفة التي يبني من أجلها وهي جمع أكبر عدد من الدوائر الحكومية والمقررات الرسمية في مكان واحد وهذا بدوره يؤدي ان تزود بناءة السراي بالعناصر العمارية التحصينية والاستحكامية مثل الابراج والمزاغل ومن هنا برزت أهميته كأحدى العوامل ذات الصفة العسكرية التي تتحصن بها قوات الجيش والشرطة^(٢).

الموقع والتاريخ : يقع سراي الديوانية القديم في الجانب الشرقي من المدينة داخل الحدود الجغرافية للسور ، وتحديداً في نقطة هي اليوم خلف مبني المحافظة القديمة .

بني السراي عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م^(٣) ويصفه المهندس المعماري هاملتون رئيس دائرة الاشغال العامة في الديوانية عام ١٩٢٨ م بما نصه "كان بناء سراي الحكومة في الديوانية نموذجاً من نماذج الادارة التركية القديمة حكمت عليه مديرتي بالهدم لأنه متتصدع ويقاد يتداعى على رؤوس ساكنيه لذلك فهو خطر لا يؤمن جانبه ومع ذلك بقي مسكوناً أذ لا توجد المبالغ اللازمة لبناء سراي جديد"^(٤).

السراي اليوم مندرس تماماً ولم يبق منه اي شئ ، وبواسعنا ان نتصور حجم البناء اذ يحتوي على عدد كبير من الدوائر وكل دائرة تحتوي على عدد من الحجرات والغرف عادتاً تكون مبنية بمادة الاجر والجص ومن طابقين ، تطل واجهتها على صحن فسيح^(٥) ومما لا شك فيه زود هذا المبني بكافة العناصر العمارية التحصينية مثل الابراج والأسوار والمزاغل والشرفات .

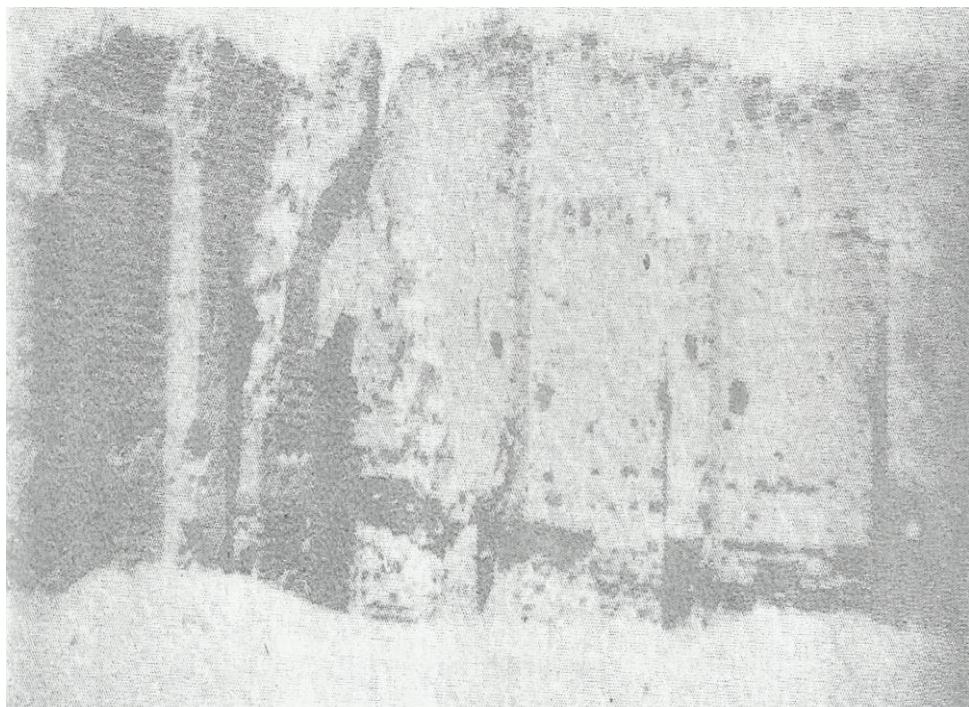
(١) صابان ، سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مراجعة د. عبد الرزاق محمد حسن بركات ، مطبوعات مكتب الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ٢٠٠٠ ، ص ١٣٣.

(٢) الميلي ، رجوان فيصل ، العوامل العسكرية في وسط العراق وجنوبه تخطيطها وعمارتها ١٩١٤-١٩٥٨ م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، ٢٠١٦ ، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) الزيادي ، محمد ، المصدر السابق ، ٢٠١١ ، ص ٧٣ وينظر : الواقع ، مصطفى ، المصدر السابق ، ١٩٤٨ ، ص ٢٤٩.

(٤) هاملتون ، ام - اي ، طريق في كردستان ، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥.

(٥) هاملتون ، المصدر نفسه ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥-٢٦.



(لوح - ١)

مقطع من سور مدينة الديوانية القديم / مأخوذ من كتاب القادسية بين
الماضي والحاضر ١٩٨٦ / ص ٤٦



(لوح - ٢)

مقطع من سور مدينة النجف الاشرف القديم / تصوير الباحث



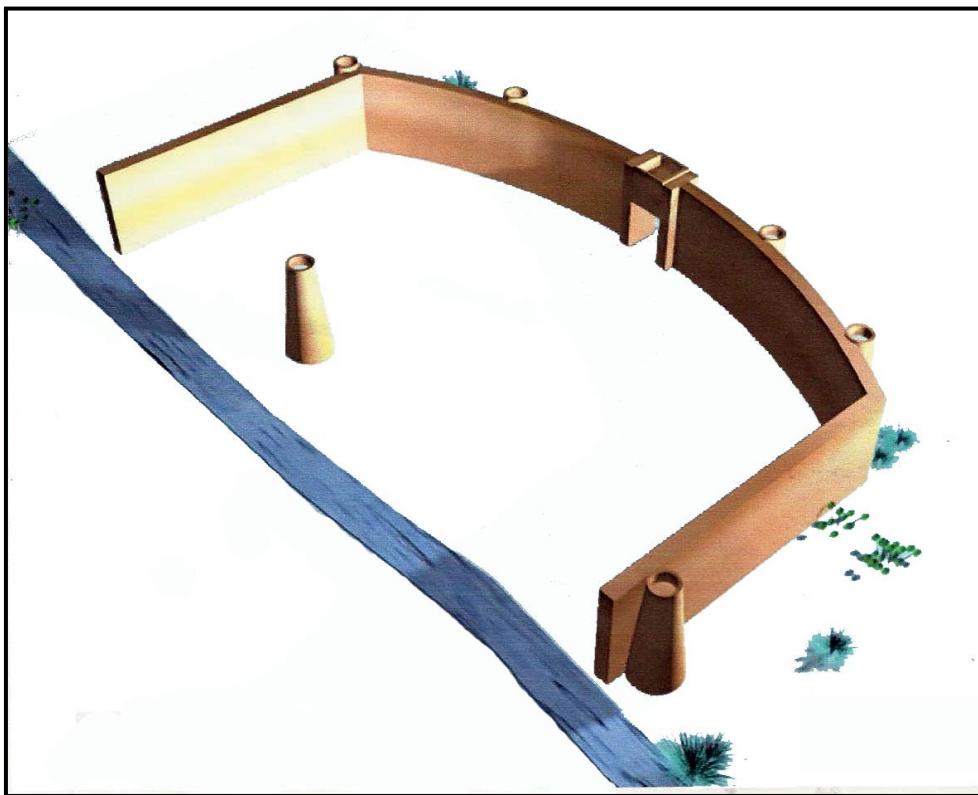
(لوح - ٣)

صورة تمثل مدينة الديوانية وسورها وابراجه عام ١٩١٩
والصورة محفوظة بالمكتبة الاهلية في باريس



(لوح - ٤)

صورة تمثل جزء من واجهة القشلة الحديثة وتظهر في اعلاها فتحات المزاغل / تصوير الباحث



(مجسم - ١)

مجسم يمثل سور مدينة الديوانية والابراج الموزعة عليه / عمل الباحث

Fortifications and fortifications the city of Diwaniyah during the Ottoman era / archaeological and historical study

Dr . Rajwan Faisal Mayali

**(College of Archaeology /Department of Archaeology)
University of Al- Qadisiyah**

2017

Abstract

Cities an important place in the development of human civilization is the city of Hasaka (Diwaniya) is one of those cities that has assumed an important place among the cities of the Middle Euphrates and Hawwadharh We have tried as much as possible to keep the history of the founding of this city but its history is uncertain and there is no sources or documents confirming so as silent most of them in this regard, but we are close significantly from the date of inception through research, auditing, and this in turn brings us closer to the date of construction of the wall, which covers the history of its construction a lot of historical impurities and the rest of the buildings immunization and Alastgamah in the city, including the Alakeclat chateau, castles and others, has been shown through research and investigation of that fence which there is no mention in the writings of tourists and travelers who have visited the city, since there is a representation of the point of the river as the river the way a president who brings tourists to the city of Diwaniyah, as well as we highlighted at the first attempt renovations that have gone through it has reached a conclusion that this fence has not been it increases space in terms of height and width, but only held it repairs and renovations to its gains and its thickness and the number of towers, which was carrying at the time, and increased in another time.

The research found that the city of Diwaniya, is one of the few cities in Iraq, which was built by a fence and Akecltan and Galatasaray as well as the existence of buildings of a military character scattered in other parts of them, and this in turn reveals the importance of the city of defense and military terms, and their active role in the restoration of security in particular that an important requirement quite to the prosperity and stability of life in any town.